

92

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (36)

فتح مكة

بقلم : أ. عبد الحميد عبد القدوس
رسوم : أ. عيد الشافعي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى





لَمَّا رَأَى (أَبُو سُفْيَانَ) جُمُوعَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ
الْجَرَّارِ تَمُرُّ بِهِ وَهُوَ وَقِفٌ مَعَ (الْعَبَّاسِ) وَرَأَى كَتِيبَةَ
النَّبِيِّ ﷺ الْخَضْرَاءَ ، وَفِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ
فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى (مَكَّةَ) يَوْمَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ قَالَ
لـ (الْعَبَّاسِ) :

- وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، لَقَدْ أَصْبَحَ مَلِكُ ابْنِ أَخِيكَ
الْيَوْمَ عَظِيمًا ..

فَقَالَ لَهُ (الْعَبَّاسُ) :

- إِنَّهَا النُّبُوَّةُ يَا أَبَا سُفْيَانَ .. أَسْرِعْ إِلَى قَوْمِكَ ..

فَانْطَلَقَ (أَبُو سُفْيَانَ) إِلَى (مَكَّةَ) وَأَخَذَ يَصْرُخُ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ ، حَتَّى تَجْمَعَ أَهْلُ (مَكَّةَ) حَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ :

- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، لَقَدْ جَاءَكُمْ
مُحَمَّدٌ بِمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ
(أَبِي سُفْيَانَ) فَهُوَ آمِنٌ ..

فَقَالَ لَهُ أَهْلُ (مَكَّةَ) :

- وَهَلْ تَسْعُنَا دَارُكَ ؟ !

فَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) :

- وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ ..

فَتَفَرَّقَ عَنْهُ النَّاسُ ، وَأَخَذَ كُلُّ مَنْهُمْ يَذْهَبُ
لِمَكَانٍ يَحْتَمِي بِهِ ، فَبَعْضُهُمْ دَخَلَ دَارَ (أَبِي سَفْيَانَ)
وَبَعْضُهُمْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَبَعْضُهُمْ دَخَلَ
دَارَهُ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، وَالْخَوْفُ يَكَادُ يَقْتُلُهُمْ
لِمُبَاغِتَةِ جَيْشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ فِي بِلَدِهِمْ ، دُونَ
أَنْ يُعَدُّوا الْعُدَّةَ لِقِتَالِهِ ، وَظَلَّ الْجَمِيعُ يَتَرَقَّبُونَ
مَا سَوْفَ تُسْفِرُ عَنْهُ الْأَحْدَاثُ ..

وَقَدْ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَهُ قَبْلَ دُخُولِ (مَكَّةَ)
عِدَّةَ أَقْسَامٍ وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ قِسْمٍ قَائِدًا ، حَتَّى يَدْخُلَ
الْجَيْشُ (مَكَّةَ) مِنْ جِهَاتِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، فَكَانَ
(خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) قَائِدَ الْمَيْمَنَةِ ، وَفِيهَا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ ،
وَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ (مَكَّةَ) مِنْ أَسْفَلِهَا ..
وَكَانَ (الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ) قَائِدَ الْمِيسَرَةِ ،
وَ (سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ) قَائِدَ الْأَنْصَارِ ..

وَقَادَ (أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) الْجَيْشَ الَّذِي دَخَلَ

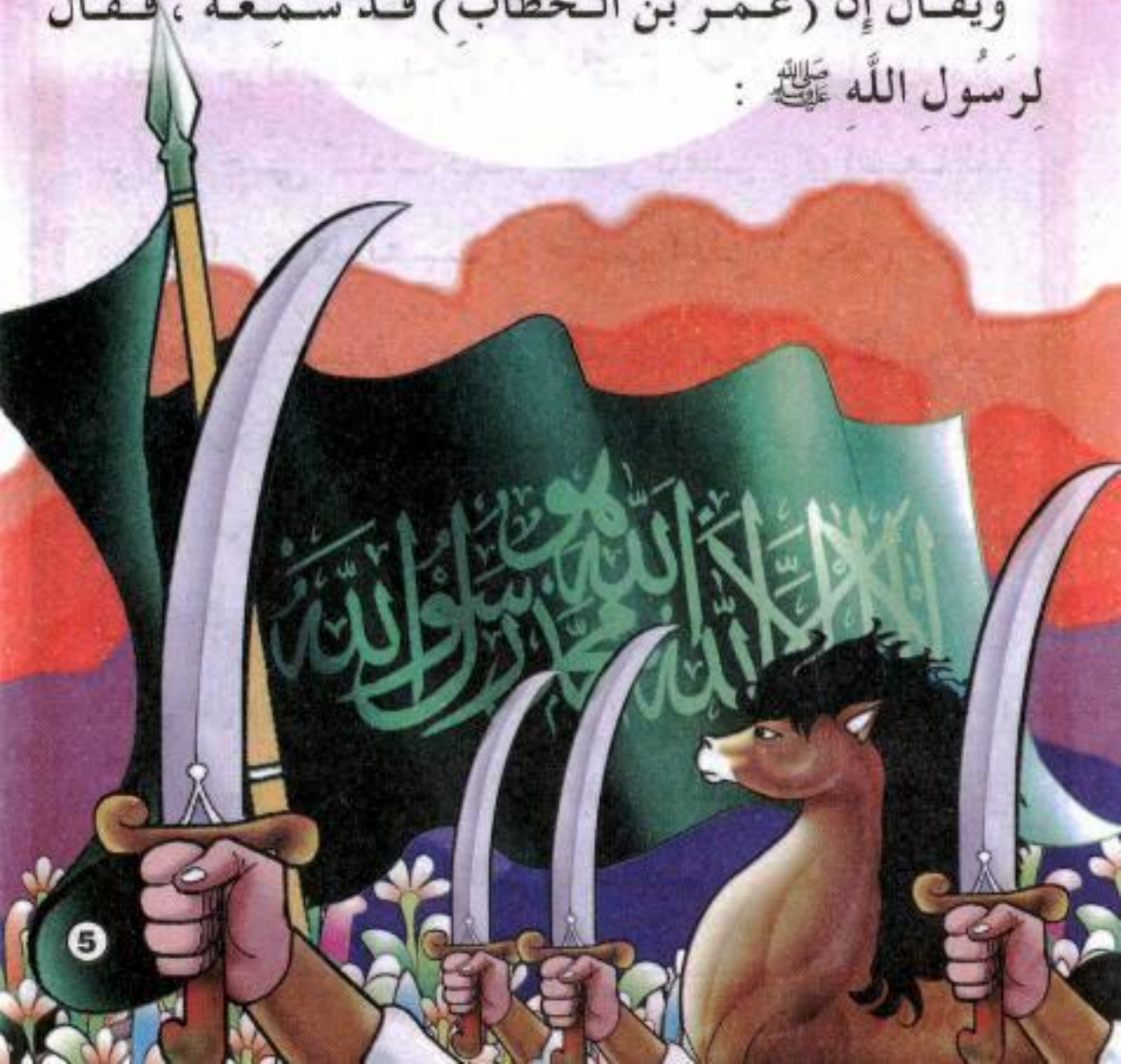
(مَكَّة) مِنْ أَعْلَاهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ..

وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادَةَ الْجِيُوشِ أَلَّا يُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ تَصَدَّى لَهُمْ وَتَعَرَّضَ لِقِتَالِهِمْ ..

وَيُقَالُ إِنَّ (سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ) حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى (مَكَّة) ، قَالَ :

- الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ .. الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْمَحْرَمَةُ ..

وَيُقَالُ إِنَّ (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) قَدْ سَمِعَهُ ، فَقَالَ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :



— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ..

لَنْ نَأْمَنَ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ ..

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لـ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) :

— «أَدْرِكُهُ فَخُذِ الرَّأْيَةَ مِنْهُ ، فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا» .

وَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَكَّةَ) مِنْ أَعْلَاهَا ، رَاكِبًا
نَاقَتَهُ وَحَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ .. دَخَلَهَا وَقَدْ مَالَ
بِرَأْسِهِ حَتَّى كَادَتْ تَمَسُّ ظَهْرَ نَاقَتِهِ ، تَوَاضَعًا لِلَّهِ
وَشُكْرًا .. وَقَدْ نَصَبَتْ لَهُ خِيَمَتُهُ أَعْلَى (مَكَّةَ) ..

وَلَمْ تَلَقْ جِيُوشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقَاوِمَةً تَذَكُرُ مِنْ
أَهْلِ (مَكَّةَ) فِيمَا عَدَا جَيْشَ (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) الَّذِي
دَخَلَ مِنْ أَسْفَلِ (مَكَّةَ) فَلَقِيَهُ (صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ)
و (عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ) وَ (سَهِيلُ بْنُ عَمْرِو) مَعَ
أَنَاسٍ مِنْ (بَنِي بَكْرٍ) وَ (هَذِيلٍ) فَقَاتَلَهُمْ جَيْشُ (خَالِدِ)
وَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ، فَفَرَّ بَعْضُهُمْ وَدَخَلَ
الْآخَرُونَ بِيُوتَهُمْ وَأَغْلَقُوهَا عَلَيْهِمْ ..

وَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ سَبْعَةَ
أَشْوَاطٍ عَلَى ظَهْرِ نَاقَتِهِ .. فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ طَوَافِهِ
نَادَى (عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ) وَكَانَ سَادِنَ الْكَعْبَةِ ، وَمَعَهُ
مَفَاتِيحُهَا ، فَأَخَذَ مِنْهُ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ ، وَأَمَرَ بِفَتْحِهَا ..
وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّسُولُ ﷺ ، قَالَ :

- « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ،
وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ..

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَعْبَةَ الْمُشْرَفَةَ
وَجَدَهَا مَلِئَةً بِالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي وَضَعَهَا
الْمُشْرِكُونَ ، فَأَخَذَ ﷺ يَمُرُّ بِالْأَصْنَامِ وَيُشِيرُ إِلَيْهَا
بِعَصَا فِي يَدِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ..

وَكُلَّمَا أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَنْمٍ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ
وَتَحَطَّمَ ، وَهَكَذَا حَتَّى طَهَّرَ الْكَعْبَةَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، الَّتِي
كَانَ يُشْرِكُهَا الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مُؤَذِّنَهُ (بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ) أَنْ يُؤَذِّنَ

فِي الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ (أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ) وَ (عَتَابُ
ابْنُ أُسَيْدٍ) وَ (الْحَرِثُ بْنُ هِشَامٍ) جَالِسِينَ بِفَنَاءِ
الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ (عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ) :

- لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أُسَيْدًا بِالْمَوْتِ ، قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ
أَذَانَ ذَلِكَ الرَّجُلِ فِي الْكَعْبَةِ ، فَيَغِيظُهُ ..

فَقَالَ (الْحَرِثُ بْنُ هِشَامٍ) :

- لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا مُحِقٌّ لِاتَّبَعْتَهُ ..

وَقَالَ (أَبُو سُفْيَانَ) ..

- لَا أَقُولُ شَيْئًا ، لِأَنِّي أَخْشَى لَوْ تَكَلَّمْتُ أَنْ تُخْبِرَ
عَنِّي هَذِهِ الْحَصَا ..

فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ :

- « قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ » ..

وَذَكَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ مَا قَالُوهُ ، فَقَالَ (الْحَرِثُ)
وَ (عَتَابُ) :

– نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَا أَطَّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ
كَانَ مَعَنَا ، فَنَقُولُ أَخْبَرَكَ بِهِ ..

وَعِنْدَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، أَرَادَ رَجُلٌ
يُدْعَى (فَضَالَةَ) قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ ، قَالَ
لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :

– « أَفْضَالَةَ ؟ ! » أَيْ هَلْ أَنْتَ فَضَالَةُ ؟ !



فَقَالَ « فَضَالَةٌ » :

- نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :

- « مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ فِي نَفْسِكَ ؟ » ..

فَقَالَ (فَضَالَةٌ) :

- لَا شَيْءَ ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - ..

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ :

- « اسْتَغْفِرِ اللَّهَ » ..

ثُمَّ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِ (فَضَالَةٍ) فَسَكَنَ قَلْبَهُ وَاطْمَأَنَّ ، وَصَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ مَخْلُوقٍ إِلَيْهِ ..

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ طَوَافِهِ وَصَلَاتِهِ بِالْكَعْبَةِ ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ (مَكَّةَ) لِيَنْظُرُوا مَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ بَعْدَ أَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ دُونَ قِتَالٍ وَإِرَاقَةِ دِمَاءٍ ، وَأَذْلَهُمْ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَهُمْ الَّذِينَ آذَوْهُ

وَصَحْبَهُ كَثِيرًا ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَبِلَدِهِمْ ،
فَخَطَبَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ
يَتْرَكُوا مَسَاوِيَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْعَصْبِيَّةِ ، وَتَعْظِيمَ الْأَبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ ، وَلَا يُعْظَمُوا إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ
وَيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .. ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِأَنَّ
النَّاسَ كُلَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ
تَرَابٍ .. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِمْ ، قَائِلًا :

- « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ ! » ..
فَقَالُوا لَهُ :

- خَيْرًا .. أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ..
فَقَالَ ﷺ :

- « أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ :
﴿ لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ..
اذْهَبُوا فَإِنَّتُمْ الطَّلَقَاءُ .. » .

وَلَمْ يُصَدِّقْ أَهْلُ (مَكَّةَ) أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ ﷺ بِهَذَا

الْحِلْمَ وَهَذَا الْعَفْوُ .. لَقَدْ سَامَحَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ ،
فَدَخَلُوا جَمِيعًا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ..

وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا يَدْعُو رَبَّهُ ،
وَيَشْكُرُهُ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ ، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ
الْأَنْصَارُ ، وَأَحْذُوا يَقُولُونَ لِبَعْضِهِمْ ، فِيمَا بَيْنَهُمْ :

- هَلْ تَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقِيمُ بِمَكَّةَ ، أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ
بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَعُودُ مَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ؟ !
فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ دُعَائِهِ تَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ ، قَائِلًا :
- « مَاذَا قُلْتُمْ ؟ » ..

فَقَالَ الْأَنْصَارُ :

- لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

وَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ ﷺ يَسْأَلُهُمْ ، حَتَّى أَخْبَرُوهُ عَنْ
تَخَوُّفِهِمْ مِنْ أَنْ يُقِيمَ بِمَكَّةَ ، وَلَا يَعُودَ مَعَهُمْ إِلَى
الْمَدِينَةِ ..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُطْمَئِنَّا إِلَيْهِمْ :
- « مَعَاذَ اللَّهِ .. الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ
مَمَاتُكُمْ » ..
أَيُّ لَنْ أَحْيَا إِلَّا مَعَكُمْ ، وَلَنْ أَمُوتَ إِلَّا بَيْنَكُمْ فِي
الْمَدِينَةِ ..



وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَكَّةَ) فَاتِحًا ،

فَرَّ بَعْضُ صَنَادِيدِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ (مَكَّةَ) خَوْفًا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ .. وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ (صَفْوَانُ بْنُ
أُمَيَّةَ) وَ (عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ) .. أَمَّا (صَفْوَانُ)
فَقَدْ هَرَبَ إِلَى الْبَحْرِ لِيَقْتُلَ نَفْسَهُ فِيهِ غَرَقًا ، وَأَمَّا
(عَكْرَمَةُ) فَقَدْ هَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ ..

وَلَمَّا حَدَّثَ ذَلِكَ أَقْبَلَ (عَمِيرُ بْنُ وَهَبٍ) إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَرَبَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَ
نَفْسَهُ ، فَأَرْسَلْنِي إِلَيْهِ بِأَمَانٍ ..

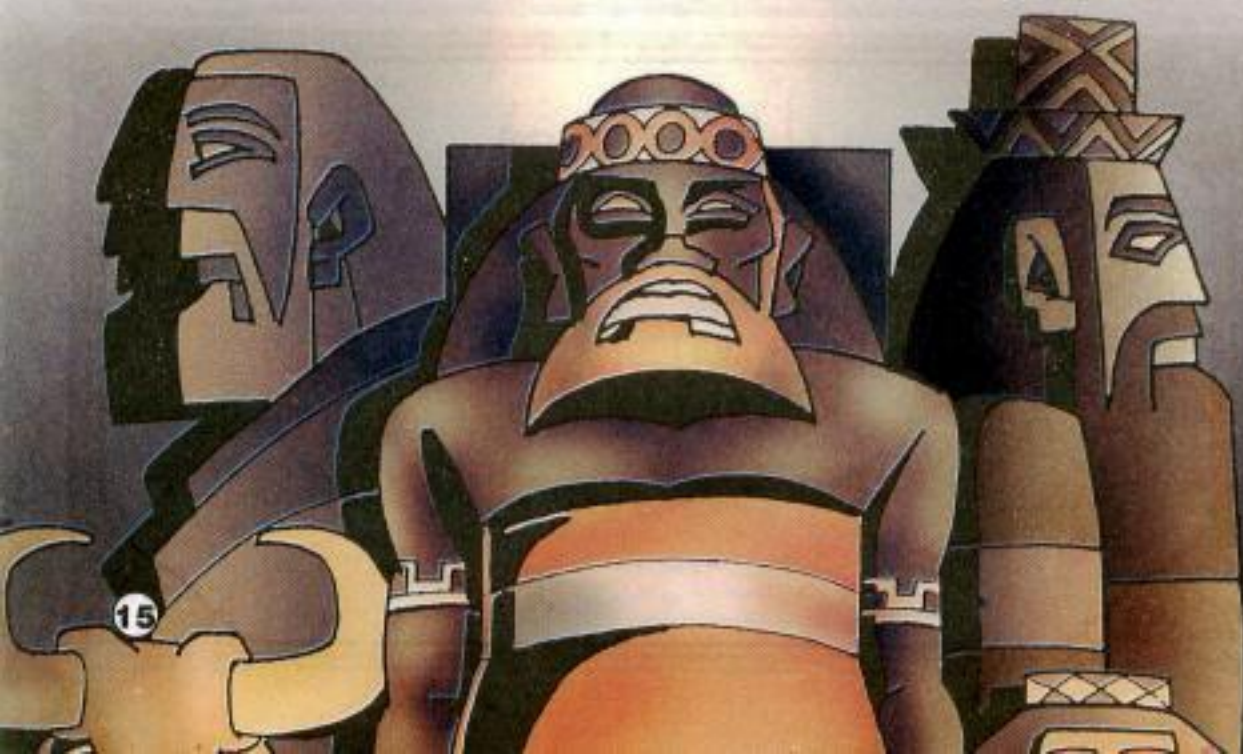
فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَمَانَ لـ (صَفْوَانِ) وَعَادَ بِهِ ،
فَأَسْلَمَ فِيمَا بَعْدُ ..

وَأَمَّا (عَكْرَمَةُ) فَقَدْ أَسْلَمَتْ زَوْجَتُهُ ، وَطَلَبَتْ لَهُ
الْأَمَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَعْطَاهَا الْأَمَانَ لَهُ فَعَادَتْ
بِهِ وَأَسْلَمَ ..

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْفَتْحُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِ (مَكَّةَ) وَأَقْبَلَ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ
اللَّهِ أَفْوَاجًا ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَايَا ، لِتَحْطِمَ
الْأَصْنَامَ الْمُنْتَشِرَةَ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ..

فَأَرْسَلَ (خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ) إِلَى صَنْمِ (الْعَزَّى) فَهَدَمَهُ ..
وَأَرْسَلَ (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) إِلَى صَنْمِ (سُوعَ) فَهَدَمَهُ
وَأَسْلَمَتِ قَبِيلَةُ (هَذِيلٍ) ..

وَأَرْسَلَ (سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ) إِلَى صَنْمِ (مَنَاةَ) فَهَدَمَهُ ..



وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بـ (مَكَّة) بَعْدَ الْفَتْحِ

خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، أَخَذَ خِلَالَهَا يُرْسِلُ السَّرَايَا مِنْ
أَصْحَابِهِ إِلَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ تَدْعُوهَا إِلَى الدُّخُولِ فِي
دِينِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَتَرْكِ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ..
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- « لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ .. وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ » ..
(تَمَّتْ)

رقم الإبداع : ٢٠ - ٤ / ٣٣٧٥

التسجيل الدولي : ١ - ٤٩ - ٠٣٧٨ - ٩٧٧

فصل الأنبياء

• الكتاب التالي •

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٣٧) يوم حنين

• احرص على اقتنائه •